الجمهورية العربية السورية

وزارة الأوقاف

قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم﴾

وقال رسول الله ﷺ:

((إِنَّمَا بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخلَاق))

المنظومة الأخلاقية

الجزء الأول

خطب الجمعة لعام

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

مديرية أوقاف دمشق

مقدمة

أهمية الأخلاق

الإسلام عقيدة، وشريعة، وأخلاق.

فأما العقيدة: فتقوم على أصول الإيمان وأركانه، مما يجب أن يَعتقِد به المؤمن ويُصدِّق به.

وأما الشريعة: فهي خمسة أقسام: عبادات، ومعاملات، وغيرها ...

وأما الأخلاق فقسمان:

١-ممدوحة أُمِرنا بالتحلِّي بها: كالصدق، والأمانة، والوفاء بالوعد ...

٢-مذمومة أُمرنا بالتَّخلِّي عنها: كالحسد، والحقد، والبخل ...

والخُلق هو السجية والطبع. وعرفه الإمام الغزالي بأنه: (هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر، من غير حاجة إلى فكر ورويّة). ولا يكتمل إسلام المسلم حتى يُقَوِّمَ أخلاقه.

إن المؤامرة التي تعرضت لها سوريا استهدفت الإنسان والبنيان، ولا بد لتجاوز مفرزات هذه المؤامرة من إعادة ترسيخ القيم الأخلاقية، لذلك فإن من واجب خطباء المساجد والدعاة والداعيات الدعوة إلى مكارم الأخلاق، لإعادة ترميم ما خربته الحرب على سوريا، إلى جانب مواجهة الفكر التكفيري الذي أدى إلى الإرهاب، فنحن كدعاة نواجه الارهاب والتكفير بفقه الأزمة، ونُعيد بناء سوريا بالمنظومة الأخلاقية.

وإن المجتمعات عامة والمجتمعات الإسلامية خاصة أحوج ما تكون إلى خُلُق حَسَن؛ يشدّ أواصرها، ويُنمي روابطها، ويُؤلف بين قلوب أفرادها، وهذا في جميع المجالات: فالزوجان مُحتاجان إلى خلق حسن يُوثّق عُقدة نكاحهما ويَزيد الوُدَّ بينهما. والقريبان مُحتاجان إلى خلق حسن يَشُدُّ أواصر القربى بينهما. والجاران مُحتاجان إلى خلق حسن لِتَدوم الألفة بينهما.

ومثلما يُحمد الخلق الحَسَن في البَيت يُحمَد ويُطلب في العمل، بل إن الخلق الحسَن سَبب من أسباب التوفيق في العمل والسعة في الرزق، قال رسول الله ﷺ: «**حُسْنُ الْخُلُقِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْم، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَالصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ**»[١].

---

[١] - أخرجه أحمد في مسنده.

واليوم بدأ عالم الاقتصاد يُقَنِّن الأخلاق ويَجعلها مَعايير للجودة في المؤسسات الاقتصادية والأسواق التجارية، وقد كان التَّقييم للشركات فيما مَضى يَعتمد على أدائها المالي، أما الآن فقد تَحوَّل التقييم إلى بُعدين: أخلاقي ومالي، وبدؤوا يَضعون مَعاييرَ لِقياس الأداء الأخلاقي للشركات.

وَبَيَّنَت الدِّراسات الميدانية أن التزام الأخلاق يُؤدي إلى زيادة الربح، وفي دراسة قام بها باحث أمريكي وازَنَ بَين شركات تَلتزم بالأخلاق الحسنة والمسؤولية الاجتماعية وبين شركات لا تَهتم بذلك؛ تَبين أن مُتوسط نمو الربحية في الشركات الأولى حوالي ١١% سَنوياً، بَينما في الثانية ٦% سنوياً.

وقال الفُضيل بن عياض: إنَّ الفَاسق إذا كان حَسَن الخُلق عَاش بعقله، وإن العَابد إذا كان سيء الخلق ثَقل على النَّاس ومَقَتوه.

هذا وإن للخُلق العالي فَوائد دينية ودنيوية وأخروية:

قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمنَ لَيُدرِك بحُسنِ خُلُقِه درجةَ الصَّائم القائم**»[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليبلغُ بحُسن خُلُقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسُوء خلقه أسفل درجة في جهنم**»[٣].

ويُحب الله تعالى حَسَنَ الخُلق: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين**﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين**﴾ [المائدة: ٤٢].

والله تعالى لا يُحب سَيِّءَ الخُلُق: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا**﴾ [النساء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِين**﴾ [النحل: ٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها**»[٤]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يُبغض الفاحش البذيء**»[٥].

ولا يزال سوء الخلق يُوبق صاحبه حتى يفسد عمله، ويذهب حسناته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس مِن أمتي**

---

[٢] – أخرجه أبو داود في سننه.

[٣] – أخرجه الطبراني في معجمه الكبير.

[٤] – أخرجه الحاكم في مستدركه.

[٥] – أخرجه البيهقي في سننه.

يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار»[٦].

فنحن بحاجة إلى الأخلاق الحسَنة في بيوتنا، في محلاتنا، في أسواقنا، في دوائرنا الحكومية، في كل مجال ندخل فيه، ولأجل ذلك كانت هذه المنظومة الأخلاقية، وقد بدأناها بالجزء الأول لعام ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، وتحوي مواضيع لأكثر من ٥٥ خطبة جمعة، أي لعام بأكمله، وهي كفيلة بتوعية المواطنين أخلاقياً إذا تم الالتزام بها في كافة مساجد القطر العربي السوري.

ختاماً: من ساء خلُقه عذَّب نفسه، ومن سعادة ابن آدم حُسن خلقه، ومن شقاوته سوء خلقه.

نسأل الله أن تكون هذه المنظومة الأخلاقية لبنة تعين المرشد والمسترشد على التعرف والتحلي بمكارم الأخلاق.

والحمد لله رب العالمين

وزارة الأوقاف السورية

* * *

---

[٦] – أخرجه مسلم في صحيحه.